

القضية الحجازية

بحث عن الهوية



لوحة للفنانة الحجازية: صفية بن زفر

أجراه وحرره
راكان آل مبيض

حوار مع الناشطة الحجازية
مهود هجازي

القضية الحجازية

بحث عن الهوية

أجراه وحرره
راكان آل عايض

حوار مع الناشطة الحجازية
عهود حجازي



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إنه لمن السذاجة بمكان أن يتصور البعض أنه بالإمكان الحديث عن أيّ تغيير- مهما كان حجمه وسقفه- في جزيرة العرب، دون أن يُؤخذ في الاعتبار الحجاز بوصفه أهم الأقاليم؛ بل إن الحجاز هو المحور الرئيس الذي ينبغي أن يدور حوله كل حديث في هذا السياق.

ولأن الأمر كذلك، كان من البديهي أن أُسلط بعض الضوء على القضية الحجازية التي لطالما تم تجاهلها والتتكرّر لها باستمرار من قبل مختلف الأحزاب والشخصيات التي تدّعي معارضتها للكيان السعودي.

ولقد كان هذا الحوار مع الناشطة الحجازية عهدود حجازي بمثابة محاولة أولى في هذا الاتجاه، وقد تضمّن أسئلة لم يسبق أن طُرحت في حوارات من هذا النوع.

لم يكن للكيان السعودي أن تكون له أي قيمة لولا سيطرته على الحجاز، وإن أي محاولة لحشد القوى

الثورية في اتجاه تحرير الحجاز لهو الكابوس الأكبر
بالنسبة لآل سعود.

ولأجل ذلك، فإنني عمدتُ إلى التركيز بشكل أكبر
على القضية الحجازية التي نعتبرها قضيةً عادلةً
ومركزيةً، لا سيما وأن هذه الأرض تضم قبلة المسلمين
ومسجد الرسول الكريم، صلوات الله عليه وعلى آله.

إن تحرير هذه الأرض والسعي إلى ذلك هو واجب،
ليس على أهل الأرض وحسب، بل على كل مسلم
على وجه البسيطة.

ومن هذا المنطلق، فقد كان هذا الحوار الذي نرجو
الله أن نكون قد وُفقنا فيه، آخذين في الاعتبار أنه - كما
ذكرت - مجرد خطوة أو محاولة أولى نحو تأطير
طموحات أهل الحجاز وبلورتها وصقلها، وتشجيع كل
حرائر وأحرار الحجاز الكبير على أن يُدلووا بدلوهم، وأن
يتجاسروا على رفع الصوت الثائر الذي قُمع طويلاً،
وقد آن أوان تفجُّره.

أجري هذا الحوار بتاريخ ٢٠٢٦/٣/٢٠،

الموافق للأول من شوال لعام ١٤٤٧ هـ

لندن

نص الحوار

[١]- بدايةً، بودّي أن تُحدّثينا عن نفسك قليلاً؛ من هي عهود حجازي؟ متى وأين وُلدت، وكيف نشأت؟

• أنا أعرف عن نفسي ككاتبة وصانعة أفلام. وُلدتُ في محافظة الحناكية، إحدى محافظات المدينة المنورة، في منتصف تسعينيات القرن المنصرم. نشأتُ في بيئة تفتقر إلى الكثير من المقومات؛ ليس المال فقط، بل أيضاً المعرفة والوعي.

عشتُ حياةً فقيرةً، مثلي مثل أغلب الحجازيين، وكل من هو رازح تحت نير الحكم السعودي الغاصب.

[٢]- لماذا تُصرّين على أن تُنادي بـ«عهود حجازي»، وليس باسم قبيلتك؟

• رغبتني في ذكر «حجازي» لها أسباب كثيرة، أهمها أن الحجاز أرضي، وعبره يتجلى أمامي أملي في الانعتاق عمّا كان مفروضاً عليّ تحت مسمّى "السعودية"، الكيان الذي لطلالما كرهته وأردتُ الهرب

منه منذ طفولتي .. بالنسبة لي ، الحجاز يعني التحرر من أغلال (الهوية السعودية) ، لذلك رغبتُ أن أدعى «عهد حجازي».

كما أن هناك سبباً آخر لعدم ذكري اسم قبيلتي ، وهو خشية استغلال المحتل لذلك ، حيث إننا في الحجاز نتعرض لخطر التقسيم المجتمعي الذي يتعاضم كل يوم بتغذية من هذا المحتل الخبيث . وقد برز ذلك بكثرة مؤخراً ، من خلال دفع الحجازيين (القبليين) والتغريب بهم للتصادم مع الحجازيين (غير القبليين) ونبذهم ، بحجة أن الحجاز لا يحتمل سوى القبليين ، وما عداهم فليس جزءاً منه ولا ينتمي له .

أنا أنتمي إلى قبيلة يتحدث أفرادها باللهجتين البدوية والحضرية ، دون أن نرى في ذلك ما يهدد هويتنا . بل على العكس ، هذا التنوع يُعدّ مصدر ثراء وتميز وقوة بالنسبة لنا كحجازيين .

إن أهل الحجاز الذين يستقبلون ملايين المسلمين سنوياً من شتى بقاع العالم ، بمختلف اللغات

والأعراق والمشارب والثقافات، أقول إنه يجب عليهم أن يقفوا سدًا منيعًا أمام هذه المخططات السعودية الشيطانية العنصرية، التي تستهدف تقسيم الأمة وزرع بذور الفتن بين مختلف مكوناتها على أساس العرق والمذهب والمنطقة والقبيلة ووالخ، وبالأخص في الحجاز. على الحجازيين بالذات مسؤولية كبرى، وهي أن يسعوا جاهدين للحفاظ على هذا التنوع الذي ميّز الحجاز لفترات طويلة وجعله الحجاز الذي نحب، وذلك لن يكون إلا بالحرص على تقوية انتمائنا الإسلامي العالمي الذي لا تحدّه الحدود الجغرافية ولا العصبية الضيقة (القبلية والمذهبية والعرقية واللغوية وغيرها).

كما أنني أعتقد أنه من الواجب علينا أن نبدأ بحراك هوياتي، يتمثل في وضع لقب «حجازي» بجانب أسمائنا، اعترافاً بأن جميع أهل الحجاز، بدواً وحضراً، بمختلف المذاهب، يجمعهم الانتماء إلى هذه الأرض التي أصبحت بفضل الإسلام أرض التنوع وقبول الآخر (المختلف) والتعايش معه، والاحترام المتبادل بين مختلف مكوناتها، وليس لأحد على الإطلاق

الحق في إقصاء أي طرف أو مصادرة هويته الحجازية،
لا من أهل الحجاز أنفسهم، ولا للغاصب السعودي
من باب أولى.

[٣]- ما هي قضية الحجاز؟ وماذا يعني لك الحجاز؟
وهل هناك حدود جغرافية واضحة لهذا الحجاز؟

• قضية الحجاز باقتضاب هي: الرغبة المطلقة في
التحرر الكامل من براثن الاحتلال السعودي، وعودة
الحجاز إلى أهله ليقرروا هم كيف يحكمون أنفسهم.
إن الحديث عن الحجاز وقضية الحجاز موضوع لم
يحظَ حتى اليوم بالاهتمام الذي يليق به. أما عن
الحدود الجغرافية، فهناك بعض الاختلاف، غير أن
الحجاز الكبير، على أية حال، يمتد من العقبة شمالاً
إلى جازان جنوباً.

وأعتقد أننا اليوم لسنا بحاجة إلى الرجوع إلى تاريخ ما
سُمِّي بـ«المملكة الحجازية الهاشمية»؛ لأنني أرى أنها
كانت مجرد مرحلة تاريخية، ولا تمثل طموحات
شعب الحجاز الحقيقية، ولو كانت مهمة فعلاً لما
نسيها أهل الحجاز.

علينا اليوم أن نتحدث عن مشروع حقيقي مستقبلي، إسلامي. لا قومي ولا سلالي، مبني على القيم الإسلامية الكبرى التي تتمثل في الشورى والحرية والعدل والمساواة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ.

هذا المشروع يجب أن يخرج من أرض الحجاز، ومن أبناء وبنات الحجاز أنفسهم، مستمداً المدد والهدى من أنوار التجربة المدينة، حيث أرسى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول دولة مدنية في التاريخ، قامت على أسس إنسانية إسلامية استوعبت حتى المخالف دينياً، بل حتى المنافقين أيضاً، ولم يكن للحرية سقف وقتها. وليس ذلك مستحيلاً ولا صعباً إذا ما تعاضدت الجهود، وتوحدت السواعد الطليعية الحجازية.

أنا، كما قلت لك، عملي في الكتابة وصناعة الأفلام، لكنني لا أجد صعوبة في تخيل إمكانية إعلان تأسيس دولة «جمهورية الحجاز». فما بالك بأهل الخبرة والمعرفة من أهل الحجاز؟ نحن بحاجة إلى طرح تصوراتهم لتخيل شكل مستقبل الحجاز، ووضع المشاريع لدراستها والعمل عليها. إلى الآن، للأسف،

لا يوجد شخص تحدّث بشكل تفصيلي وعملي عن مستقبل الحجاز أو في الجزيرة العربية عمومًا، ولكن كما تعرف أن مشكلتنا الأساسية هي: كيف يصل هذا الطرح إلى الناس؟

[٤]- ما هو السبب الرئيس وراء تبنّيك لهذه القضية؟ أو بمعنى آخر، ما هي الشرارة التي أشعلت فيك الوعي بالحجاز وقضيته؟ وهل كان ذلك جزءًا من رحلة تعرّفك على هويتك؟

• قلت لك سابقًا إنني ترعرعت في بيئة تفتقر إلى كثير من الأشياء، وكان من الصعب جدًا أن أكون واعية بقضية كبرى كقضية الحجاز. منذ طفولتي كنت أشعر بأن هناك شيئًا خاطئًا وغير طبيعي في الواقع الذي نعيشه، وبناءً على ذلك لم تتوقف الأسئلة في رأسي. وهذه الأسئلة كانت بحاجة إلى إجابات، والإجابات بحاجة إلى البحث والمعرفة.

قد يبدو الأمر مضحكًا لو قلت لك إنني تعرّفت على الموضوع في بداية الأمر من خلال أفلام مصرية قديمة، فسألت: من يقصدون بالحجاز؟ وعندما

أخبرتني أختي، وجدت الأمل. شعرت أنني أستطيع أن أتحرر من ما يسمّى "السعودية" عبر الحجاز! وهنا بدأ موضوع الحجاز معي. كانت السعودية، بالنسبة لي ولا تزال، كيان احتلال غاصب، قام على تبني ونشر الفكر الوهابي الشيطاني الذي يقوم على نبذ كل مخالف له من الناس عمومًا، وسحقهم وقهرهم واستباحة أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، والخضوع التام للحاكم، وهذا محور رئيس في هذا الفكر. واحتقار المرأة بالذات، وتكثيف القيود عليها ومحاصرتها ودفنها وتجريدها من إنسانيتها.

كان هذا الشعور كعار يطاردني ولا أستطيع التخلص منه. هل تعرف معنى أن تخجل من هوية مفروضة عليك؟ تكون مستعدًا للتمسك بأي شيء آخر كي تتخلص منها.

لم يكن الحجاز بالنسبة لي شيئًا عاديًا؛ شعرت بأن التحرر ممكن من خلاله، وبأن الحجاز لا يليق به إلا ما تميّز به من تنوع عرقي وثقافي وحتى مذهبي. وهذا ما أرجو أن يستوعبه أهل الحجاز: أن يدركوا قيمة

الحجاز وما يمثله، وما يمكن أن يتحقق فيه لو تحرر من قبضة المحتل السعودي.

[٥]- كيف تُصنّفين نفسك؟ هل لك توجّه سياسي معيّن أو فكري؟ ما هي مرجعيتك إن كان ثمة؟

• أنا امرأة مسلمة حجازية. وكمسلمة، فبيدهي أن يكون توجهي السياسي منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى: 38). وعليه؛ فلا نرى احتمالاً آخر للنظام السياسي ضمن الإطار الإسلامي سوى أن يكون النظام مدنياً شوروياً ديمقراطياً جمهورياً، يشارك فيه جميع الناس، ولا تكون السلطة فيه مطلقة بيد فرد أو حزب واحد فقط أو في أسرة أو جماعة واحدة أو نسل معين دون غيره. أنا انتمائي إسلامي، غير مقيّد بمذهب محدد، مرجعي هو كتاب الله وحده.

وقد عرفت، من خلال رحلتي المتواضعة في تعرّفي على هذا الدين العظيم، لماذا تعاني الشعوب الإسلامية من الظلم المزمن والفساد والقهر والاستسلام للاستبداد؛ وكان الجواب هو أنها لم تفقه هذا الدين

بعد، ولم تعرف عنه شيئاً اللهم إلا المظاهر الطقوسية.
كلما عرفت دين الله أكثر، أيقنت أننا بعيدون كل
البعد عنه.

يجب أن تكون هناك ثورة إسلامية معرفية ثقافية
حقيقية، أولاً وقبل كل شيء، لتقتلع الكهنوت
والاستبداد اللذين أُلصقا زوراً وظلماً بالإسلام، وآمل أن
تنبعث هذه الثورة من الحجاز، وفيه من العقول
المتحررة-غير المتمذهبة والتي لم تتلوث بسمّ الوهابية
بعد- ما يكفي لإحداث التغيير المأمول لو تحلّت
بالشجاعة والجرأة المطلوبة لذلك.

[٦]- برأيك؛ هل تعتبرين أن هذا التوجّه «الحجازي» أو
الدعوة للحفاظ على الهوية الحجازية والمناداة
بإحيائها، ألا يندرج تحت لواء الدعوات الانفصالية؟
بمعنى أوضح؛ هل أنتم تتبنّون توجّهًا انفصاليًا عن باقي
أقاليم الجزيرة العربية؟

• نحن في الحجاز نواجه بالفعل خطر التقسيم
الداخلي الذي يفتعله ويحرّكه ويغذّيه ويبقيه نظام
المحتل السعودي. وما نفعله نحن، كحجازيين، إنما

هو دفاعٌ عن هذا النسيج الاجتماعي المتنوع، وسعي للحفاظ عليه وحمايته، إيماناً منا بأننا أمة واحدة تستوعب الجميع دون تمييز أو إقصاء.

من يتهمنا بالانفصال هو شخص جاهل، وهو بالضرورة أسير للهوية والعقلية السعودية، ولا يستوعب ضرورة هدم بيتٍ متهالك أصلاً، مصيره السقوط لا محالة، لبناء بيتٍ سليم الأسس متين القواعد.

أرض الحجاز، في نظري، تستوعب جميع الناس. لكن المشكلة تكمن في عقليات ترفض أن يتم استيعابها مع الآخرين؛ لأنها تعودت أن تنبذ الناس وتُصنّفهم، وترى نفسها فوقهم وأفضل منهم، وتوزّع الاتهامات عليهم؛ وذلك لأن تلك العقليات عقليات وثنية قُطرية، تقدّس الحدود التي رسمها سايكس-وبيكو، وتفضّلها، وتموت في سبيل الحفاظ عليها، على مشروع إسلامي حقيقي يجمع الأمة ويقويها، ويحتفي بالتنوع الذي تزخر به مختلف مكوناتها.

إن الأحقاد والعنصرية وعقد النقص الرهيبة التي يعاني منها أصحاب تلك العقليات تجاه الحجاز وما يضمه

ويمثّله، لهي الدافع وراء وصمنا بتهم الانفصال عن الأمة والرغبة في تقسيمها. وإلا أين هم؟ لا يسألون أنفسهم عمّن فصل أهل الحجاز عن باقي العالم الإسلامي، وجعل بينهم العداوة والبغضاء، وكفّرنا واحتل أرضنا واغتصبها وقتل منا حتى شبع تحت شعار "التوحيد"؟!

[٧]- ولكن أستاذة عهود؛ هناك ممّن يُسمّون بالمعارضة السعودية في الخارج من يتّهمكم بأنكم إنما تسعون إلى تمزيق الأمة وبثّ روح الفرقة والتنازع فيما بينها عبر تبنيكم لقضية الحجاز والتفافكم حولها؟

• بالنسبة لي، لا تنفصل ما تُسمّى "المعارضة السعودية" عن النظام السعودي المحتل؛ فهي تحمل التوجّه نفسه والهوية والثقافة نفسها، ولذلك فإن هذه الاتهامات من الطبيعي أن تصدر منهم. أعتقد أنه علينا تجاوز ما يُسمّى بالمعارضة السعودية لأسباب عدة، وأهمها انمساخ الهوية، وغياب المصادقية، وافتقارهم للاستقلالية.

علينا أن نلتفت إلى الذين قد كفروا بالكيان السعودي، وتحرروا منه ومن هويته وقيوده، وهؤلاء حصراً هم

الذين نهتم بأرائهم، وهم من يمكننا أن نتعاون معهم لصناعة مستقبل جديد في الحجاز الكبير وعموم الجزيرة العربية، وتحقيق شيء ملموس على أرض الواقع.

[٨]- هل تعتبرون الحجاز تحت احتلال؟ كيف ومتى تم ذلك؟

• كل من قرأ ولو شيئاً يسيراً من تاريخ هذه المنطقة يعلم أن الحجاز تحت احتلال. تم ذلك بين عامي ١٩٢٤-١٩٢٥م، وما زال مستمرًا حتى الآن. ولكن، هل أهلنا يدركون هذا الواقع؟ للأسف، ليس بالشكل المطلوب، وهذه أكبر مشكلة تواجهنا.

لو عدنا إلى التاريخ، إلى غزوات «إخوان من طاع الله» بقيادة عبدالعزيز آل سعود، وبمساعدة الإنجليز، نجد أن الرواية تقول إنهم دخلوا الحجاز فاتحين لأن أهله مشركون. وهذا النظام لا يخجل من ذلك؛ فحتى في المناهج الدراسية يوصف أجدادنا بالمشركين القبوريين. وكان هذا تبريرهم لقتال المسلمين في كل الجزيرة، وليس فقط أهل الحجاز.

وقد قاوم الحجاز بكل مدنه «إخوان من طاع الله»،
وصولاً إلى أهل عسير وأهل جازان وغيرهم.

من يقتحم بيتك، ويكفرك، ويفرض عليك هويته
ودينه، ويجعلك خاضعاً خضوعاً تاماً له، ويُلزمك
بقبول حكم وراثي يملكك -بموجبه- أنت وأهلك
وأرضك ويتوارثكم جيلاً بعد جيل هو وأبناؤه وأحفاده،
دون أي حق أو مجال لمحاسنته، أو حتى المطالبة
بتحسين ظروف عيشك تحت جبروته وتسلطه،
بحيث يكون كل ما عليك هو السمع والطاعة والقبول
بما يقول فقط، لا غير... كيف يمكن أن نسَمِّي هذه
المعاملة؟ إنه احتلال، بل إن كلمة "احتلال" قليلة
ولطيفة في هذا السياق.

[٩]- هل هناك تصوّر عام لما تهدفون إليه في نهاية
المطاف، أعني بعد سقوط ما يُسمَّى بالمملكة العربية
السعودية؟

• هذا السؤال مهم جداً، ويجب طرحه على كل
حجازي، وعلى كل أهل الجزيرة العربية بمختلف

الأقاليم: ماذا بعد آل سعود؟ علينا أن ندرك أن بقاء واستمرار الكيان السعودي أمر مستحيل.

ولذلك، فمن واجبنا أن نكون مستعدين للتعامل مع الكثير من الصعاب التي قد تقع عند تفكك وانحيار الكيان السعودي، خاصة لو كان ذلك من خلال قوة خارجية.

ينبغي أن نبادر من الآن بالعمل على مشروع حقيقي يحقق حريتنا، ويصون كرامتنا، ويوفر لنا الأمن والاستقرار، يقوم على أسس الشورى والعدل والمساواة والحرية.

ولا أقول هذا الكلام إلا وأنا واثقة بأن هناك من أهل الحجاز وباقي الأقاليم رجالاً ونساءً أكفاء، قادرين على تحقيق ذلك.

[١٠]- وما ردك على المتوجّسين من احتمالية عودة قيام حكم وراثيٍّ سلاليٍّ جديدٍ وتحت غطاءٍ دينيٍّ آخر؟ ولأكون واضحاً؛ ماذا عن من يعتبرون أنفسهم

السادة، وأن لهم فضلاً وحقاً على غيرهم من سكان الحجاز؟

• نعم، هناك احتمال كبير لعودة الحكم الوراثي وعودة الاستبداد والظلم في حالة واحدة، وهي حالة سقوط النظام على يد شعب غير واع، وبالذات غير واع بدينه. لذلك قلت: نحن بحاجة إلى ثورة ثقافية أولاً لنتمكن من الوقوف ضد من يروج لهذه الأفكار الجاهلية الكفرية. أقول إنه على أهل الحجاز أن يؤمنوا بأنفسهم، وبأنهم متساوون، وأن يتذكروا أن أكرمنا عند الله هو الأتقى فقط، وأنه لا سادة ولا عبيد في حدود دائرة الإسلام، وألا يسمحوا لأي شخص أو أي عائلة أو أي كان أن يخدعهم بأي شكل من الأشكال، وتحت أي ذريعة أو ظرف.

صون كرامتهم واجبهم، وفهم دينهم أيضاً، الذي فرض على جميع المسلمين أن يكون لهم دور في الشأن العام، باعتبار الشورى جزءاً من الوصف الإيماني لجماعة المسلمين، وأن يكونوا فاعلين في مجتمعاتهم، وألا يسمحوا لأي أحد أن ينزع منهم هذا الحق؛ ذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية فردية

وجماعية قائمة دائماً في المجتمع المسلم، بنسائه ورجاله، ولا تسقط إلا عمّن سقط التكليف الشرعي عنه لفقدان العقل أو القدرة أو الإرادة. يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: 71).

[١١]- أستاذة عهد، ذكرت أنك لطالما كرهت ما يُسمّى بـ"السعودية"، وسعيت للهرب منها، لماذا كل هذا الكره لها؟ وما الإشكال لو بقيت "سعودية"؟ أو ما هي دلالات هذه التسمية من الأصل التي جعلتك تكرهينها إلى هذا الحد؟

• لأن هذا الكيان السعودي لم يقم ولم يستمر إلا على جشتنا وضد إرادتنا، وبنزع هويتنا ومسحها، وبقمع صوتنا وسلبنا أبسط حقوقنا، وتفجيرنا وتهميشنا وظلمنا وتشويه إنسانيتنا، وبثّ الفتن والكره والبغضاء والحسد فيما بيننا.

وهذه التسمية "السعودية" لم تتأتّ إلا بعد أن نجح آل سعود في نزع كرامة الإنسان الحجازي بالذات،

والجزراوي العربي، وسحقه، وتشويه تاريخه، وتكفيره،
وتحويله إلى مجرد متاع مملوك ومنسوب لهم، لا قيمة
له ولا وجود ولا حرية.

عندما تنشأ في بيئة كهذه، فقيرة مليئة بالحسد والغلّ
والكره، وغياب لأي شكل من أشكال الحرية، وترى
الناس فيها يأكل بعضهم بعضًا؛ بيئة يسودها التشتت
الأسري والتسلط والاضطهاد والاستبداد الذي يمارسه
الأفراد على بعضهم ويمارسه النظام على الأفراد؛ بيئة
جرداء، لا تجد فيها حتى كاتبًا واحدًا مثقفًا مدرّسًا
لحقيقة الواقع، أو فنانًا ذا وعي إنساني يؤلّف بين الناس
ويرتقي بوعيهم وذائقتهم وإحساسهم؛ وإن وجدت
مصلحًا أو مصلحة، فسرعان ما يختفي في غياهب
السجون أو يُعدم على الفور بتهم الإرهاب وتأليب
الجمهور على حكّام الجور.... أن تكون في بيئة
كهذه تكاد تخلو من أيّ إصلاح اجتماعي أو سياسي
أو غيره، وتعلم أن ذلك كله ما كان ليحدث لولا هذا
الكيان الغاصب وما يمثّله، فإن المقت الشديد له هو
الأمر البديهي الطبيعي والواجب في هذه الحالة.

وأنا أتحدث هنا أيضًا من تجربتي كامرأةٍ حجازية نشأت في ظل هذا النظام السعودي الوهابي العفن، الذي تفتن في قهر المرأة وأعدم وجودها، وسحق أيّ صوتٍ للحق والحرية في أرضنا.

إن كيان "السعودية" الوهابي الغاصب هذا لهو التمثيل الصارخ للظلم والجهل والتخلف والعنصرية والطائفية وكره الآخر واحتقار المرأة وعداء كل ما له صلة بالحرية؛ إنه التمثيل الحقيقي للشرّ المحض.

وجديرٌ بالذكر هنا أن هذا الفكر الوهابي الذي دأب المحتل على نشره هو فكرٌ دخيلٌ على الحجاز، ولم يلقَ قبولًا واسعًا في المراحل الأولى من الاحتلال، غير أن النظام نجح بعد ذلك في نشره، وإن كان انتشاره في الحجاز بدرجةٍ أقل مقارنةً بباقي الأقاليم والمناطق التي تغلغل فيها هذا الفكر الخبيث.

[١٢]- سمعتُ قبل فترةٍ ناشطة سعودية تقول إنها لا تتحسّس من كلمة "سعودي"، ولا ترى أن فيها إهانة لها كحجازية ولا سلبًا لهويتها. ما مدى دقة كلامها

وكيف تقيّمونه؟ وما هو وضع المرأة الحجازية بشكل عام تحت الحكم السعودي المستمر منذ ما يزيد على المائة عام؟

• إذا تحدثنا عن وضع المرأة بشكل عام في الحجاز فهو مأساوي، كما أنه لا ينفصل عن وضع النساء المسلمات في العالم، وخصوصاً في المجتمعات التي تم تصدير الوهابية إليها وتسميمها بها طيلة قرن من الزمن بمليارات أنفقت في سبيل ذلك. المرأة المسلمة، وخصوصاً الجزراوية التي تخضع للحكم السعودي الوهابي مباشرة، تتعرض للقتل البطيء، ولا يكاد يكون لها أي وجود في الحياة العامة، وكل شيء محرّم عليها، تارة باسم الدين وتارة باسم العادات والتقاليد. ما هو طبيعي على كل نساء العالم ممارسته، هي لا تستطيع أن تمارسه. تخيل أن قيادة المرأة للسيارة لم يُسمح بها إلا قبل بضع سنوات، وعُدَّ ذلك إنجازاً تاريخياً في تاريخ الكيان السعودي!!!

أما بخصوص من يعتقد بأن مسمى "سعودي" لا يهينه أو لا ينقص من قدره، فهو حتماً لا يعرف معنى الكلمة أصلاً؛ وإلا لو كان يدرك أن معناها أن هذا

الكائن المسمى "سعودي" سُمِّي بذلك نسبةً إلى آل سعود، أي أنه أصبح بموجب ذلك مملوكًا وتابعًا لهم، لشعر بالخجل والعار. وأيضًا، لا تنسَ أن سمعة "السعودي" اليوم أصبحت كسمعة "الصهيوني"، لا فرق بين الاثنين، وتكاد لا تفرق بين تعليقاتهم، لا سيما في حرب الإبادة في غزة وحربهم الجارية ضد إيران.

إذا كنت تؤمن بأنك إنسان مَيِّزك الله بالعقل والإرادة، فلن تقبل بأن تكون تابعًا ومملوكًا لغيرك. وعلى أية حال، فالموضوع في نهاية المطاف يرجع إلى مدى وعي الإنسان بذاته وتقديره لنفسه وحرية وكرامته، وإدراكه للحقائق وتأثره بمحيطه.

[١٣]- هل تعتقدون بوجود نسبةٍ ما من الحجازيين يتفقون مع طرحكم ورؤيتكم؟

• سؤال يصعب الإجابة عليه بدقة، ولكن أعتقد أن جدارية «جدة حقنا» قد تساعد في الإجابة عليه. وهي عبارةٌ ظهرت ضمن حراكٍ سلمي -قبل سنوات- شارك فيه شبابٌ حجازيون لإظهار انتمائهم للحجاز. لو

سألت أي حجازي: من أين أنت؟ سيذكر أولاً مدينته قبل أن ينطق بـ«السعودية». الحجازي بطبعه ينتمي لروح إقليمه المنفتحة، ويشعر دائماً بتهديد نزع هذه الروح منه من قبل منطقة الحكم -إذا صح التعبير- والتي فيها ما يمكن تسميتها بالمدينة المركزية. ومع ذلك، هو متمسكٌ بلهجاته المختلفة، وعاداته، وأكلاته المتنوعة.

وكلما زاد الضغط، زاد التمسك بها. الحجازيون بحاجةٍ فقط إلى الجرأة وفرصةٍ واحدة تجعلهم يتحررون من «السعودية». هم يعون قدراتهم ويعون قوة قضيتهم، لذلك هم -سواء اتفقوا معنا في كل شيء أم لا- فإن حفاظهم على تنوع لهجاتهم، وأسلوب حياتهم المختلف، ولبسهم، وأكلهم، وتفكيرهم، وروحهم الحجازية المنفتحة على الآخر، وطبيعتهم، كلها تتفق معنا وتؤيد ما نسعى إليه.

[١٤]- كيف تردّون على دعاية النظام السعودي بأن آل سعود هم خُدّام الحرمين وحماتهما، وأن الحجاز لم

يعرف الازدهار إلا تحت حكمهم، وأنهم الأجدر بحكمه إلى الأبد؟

• حسنًا، تاريخهم لا يدعم هذه الصورة التي يسعون لترويجهما. من يخدم الحرمين لا ينبغي أن يعزلهما عن العالم الإسلامي وعن قضاياها الكبرى والمهمة، ولا أن يجعلهما ورقة سياسة تُستخدم للضغط على كل معارض للمحتل السعودي، بمنعه من الحج والعمرة والزيارة.

وهذا الوضع المؤسف ما هو إلا نتيجة سيطرة هذه العائلة الغاصبة على الحرمين. ومن يؤمن بأنهم باقون "إلى يوم القيامة" هو معتوه مستحمر لا يدرك متغيرات الحياة، وأنه لا ثابت فيها سوى حقيقة تغيرها المستمر، كما قال تعالى: ﴿..وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ..﴾ (آل عمران: ١٤٠). الحجاز لم يزدهر أبدًا بعد عصر النبوة، وكان ولا يزال خاضعًا للحكم الاستبدادي القهري المتغلب المتسلط على رقاب المسلمين. غير أن ما فعله آل سعود بالحجاز، من فصله عن العالم الإسلامي والتحكم به وعزل المجتمع الحجازي وأدلجته بسموم الفكر الوهابي الإجرامي، لم يسبقهم إليه أحد من قبل.

[١٥]- هناك أصواتٌ غير قليلة تروّج لفكرة أن زوال آل سعود سيعني حتمًا عودة الحروب القبلية الدموية وتنازع القبائل على الكلاً والماء والزعامة، وأن آل سعود، بناءً على ذلك، هم مصدر الأمان الوحيد المتبقي، وإلا فالخراب ينتظر الحجاز وكل الجزيرة العربية في حال سقوطهم وزوالهم، ما رأيك؟

• هذا متوقع، وقد دأب النظام طويلاً على بث هذه الأفكار بين الشعب المغلوب على أمره، للتمسك بحكم استبدادي وراثي إقطاعي قاهر آتٍ من القرون الوسطى بدلاً من الطموح في حق عيش حياة حرة كريمة في ظل نظام يصطلح عليه الشعب ويشارك فيه، بحيث يكون قادراً على أن يحكم نفسه بنفسه. وإن أحد أسباب قابلية هذه الأفكار للرواج والانتشار بين الناس هو عدم ثقة الناس بأنفسهم وقدراتهم وبأبنائهم وبناتهم.

وأقول: إنه عندما يوجد المشروع الحقيقي القائم على قيم الشورى والعدل والحرية والجمهورية والمساواة... إلخ، فإن ذلك سيبعث -حتمًا- روح التفاؤل في الناس من جديد، ويعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم، وعند ذلك

سوف يصبح بقاء آل سعود أمرًا مستحيلًا، وزوالهم
يضحي مسألة وقت لا أكثر.

على أهل الحجاز أن يسارعوا في بناء مشروعهم؛ أرض
الحجاز لا تفتقر إلى الموارد ولا إلى الكفاءات،
وعليهم أن يثقوا بأنفسهم وإمكاناتهم، هذا هو الأهم.

[١٦]- البعض قد يعتبر أن الدعوة إلى جمهورية
حجازية حلمٌ بعيد المنال، ومعاندةٌ للواقع، وأن بنية
الكيان السعودي متماسكة وقادرة على الاستمرار، وأن
النظام السعودي نجح في نسج هوية جامعة لشعوب
أقاليم الجزيرة العربية، بحيث إن دعواتٍ من قبيل ما
تدعون إليه سيكون مآلها الفشل والاندثار لا محالة،
هل تتفقون؟ ما ردكم؟

• كيف يكون حلمًا إذا كان موجودًا أصلاً؟ فالحجاز،
ورغم الاحتلال السعودي، ما زال يشبه نفسه. ما زال
الحجازيون يتفاخرون بانتمائهم إلى مدينة الرسول، لا
مدينة مسيلمة، ويفتخرون حتى باختلاف لهجاتهم
وأكلاتهم وملابسهم التقليدية المتنوعة. ثم إن الحجاز،
كفكرة دولة، ليس شيئًا جديدًا؛ الحجاز كان موجودًا

وسيعود إلى الوجود جمهوريةً ديمقراطيةً حرةً بلا شك. ومن لا يرى الحجاز وأهل الحجاز - وحرصهم الشديد ومقاومتهم الفطرية على أن لا يتلوثوا بهوية المحتل السعودي - فبالأكيد لديه مشكلة في رؤيته.

لم ينجح النظام السعودي إلا بالاستيلاء على المال العام والأراضي، والاستبداد بالسلطة، ونشر الوهابية في كل مكان. يريد حكام نجد وبعض سكانها أن «يسعدوا» باقي الأقاليم؛ من أعطاهم هذا الحق؟! بل وصلت بهم غطرستهم إلى حد أنهم يطلقون على باقي الأقاليم أوصافاً مهينة وعنصرية، أوضحها قولهم عن أهالي عسير: "قرود على حيود"، وعن غير القبليين في جدة ومكة: "طروش بحر" و"حج ولم يعد"، وعن أهل الأحساء والقطيف إنهم "شيعة فرس" يجب طردهم إلى إيران عبر القوارب.

هذا الخطاب يُسمع يومياً، وسببه الواضح أن النظام نفسه يحتقر شعوب الجزيرة، ويدرك أن كيانه قابل للتفكك في أي لحظة، ذلك لأنه متفكك أصلاً.

حتى إن بعضهم يستفزه "المنتو الحجازي"؛ فإذا أكله أخبرك بأنه ليس لك يا حجازي، وأنها أكلة دخيلة عليك!

منذ متى يرفض المجتمع المثقف الواعي التنوع؟ كل المجتمعات الواعية تتمسك بهذا التنوع لأنها تعي أنه مصدر قوة وثراء، وبه تتطور وتنمو وتتأنس وتتفتح وتزدهر، لكن النظام المحتل، وكذلك بعض أهل نجد، مع شديد الأسف، لهم رأي آخر في ذلك.

[١٧]- شاهدنا قبل سنوات عمليات هدم وإزالةٍ شملت مناطق كثيرة في الحجاز، وكان أن تعرّض سكانٌ كُثُرٌ للتهجير من مناطقهم ومنازلهم، وأسفرت إحدى تلك العمليات عن مقتل أحد أهالي الحويطات (عبد الرحيم الحويطي) على يد القوات السعودية، فقط لأنه رفض أن يُهجّر من أرضه، ما الذي ينتظره الحجازيون حتى يتحرّكوا، وما دوركم كمعارضة في المنفى في هذا السياق؟

• من المؤسف حالة الركود غير الطبيعية الحاصلة التي نأمل أن لا تطول. ما يحدث من إزالات وقتلٍ لمن

يدافع عن أرضه ويتمسك بالبقاء فيها ليس جديدًا منذ احتلال آل سعود للحجاز.

وأؤكد أن هذا السكوت والتنازل سيكلفنا الكثير؛ كلما طال السكوت زادت كلفة التغيير.

لذلك لا أزال أقول إن علينا أن نعمل على مشروع يجعل الناس تتخيل مستقبلها فيه، وأن تضحى من أجل شيءٍ موجودٍ أو قابلٍ لأن يوجد على أرض الواقع، وأن تؤمن بإمكانية تجاوز الفوضى التي قد تحدث عند سقوط النظام، التي يُخَوِّف بها الناس، سواء عبر قوة إقليمية أو نتيجة تفككه داخليًا، مثل النزاعات داخل أسرة آل سعود.

علينا أن نستغل هذه الفترة المهمة في التاريخ، وألا نياس، وأن نتوكل على الله.

علينا كحجاجيين أن ندرك قوتنا الكامنة، وما بأيدينا من إمكانيات لو اتحدنا ونظمنا أنفسنا.

أما عن دوري أنا، فكما قلت لك سابقًا، أنا مجرد امرأة حجازية مهتمة بالأدب وصناعة الأفلام، وأسعى من خلال ما أكتبه أن أقدم ولو شيئًا يسيرًا لهذه القضية،

وأنا مؤمنة بأن في الحجاز وأهله من يُعوّل عليهم/ عليهن، وهم الأمل بالنسبة لنا.

وأنا متأكدة أن كثيرين منهم ينتظرون الفرصة، وبحاجةٍ فقط إلى من يقف معهم ويستحثهم، وهذا ما أقوم به.

[١٨]- قال لي أحد الحجازيين إنه يتعرّض باستمرار لهجوم لاذع من قبل السعوديين، خاصة أهل نجد، وذلك بسبب لهجته؛ لماذا، برأيك، يحرص النظام على محاربة كل ما هو حجازي أو كل ما يميّز الحجاز، رغم أنه لا يتعرّض كنظام لأي تهديد (حالي) حقيقي من قبل الحجازيين؟

• لو عدنا إلى البيئة النجدية نفسها، سنجد أنهم منغلِقون على أنفسهم، وداخل مجتمعهم درجات من العنصرية تمثل النظام القائم، لذا فإن ما يصدر من خطابات وتمر ضد الحجازيين يُعد أمرًا طبيعيًا بناءً على بيئة ترفض المختلف وتقصيه وتقتله (ماديًا ومعنويًا). تابع منصات الإعلام والتواصل التي يتصدرها النجديون وتأمل كمية العنصرية والطائفية لدى من يوصفون عندهم بـ"النخبة".

لدي موقف مع إحداهن؛ فبمجرد ما عرفت أنني حجازية وأتحدث باللهجة البدوية، تبسّمت وقالت: "أفضل، عشان تقولين لهم إنك الأصل". عقلها المنغلق، وليد البيئة الإقصائية الأحادية، لم يستوعب أن لهجتي تلك هي ضمن مجموعة من اللهجات الحجازية التي كلها تمثلني وأتحدث بها.

لم ترَ وجودي أمرًا مميزًا يثري النسيج الحجازي المتنوع، بل رأته وكأنه يلغي الحجاز كله ليُبقيني أنا وقيبلتي وباقي القبائل فقط. مؤسف حقًا.

لكن هذه هي الحقيقة كما أراها. في النهاية، هناك الكثيرون منهم من يرى أن الحجاز ملك لهم، وعلى هذا الأساس يفرضون رؤيتهم وعاداتهم علينا، ويشعرون بالتهديد؛ لذلك يسعون إلى "سعودة" الحجاز بالكامل، ليصبح بلون واحد يشبههم ويناسبهم، وبالتالي تدوم لهم سيطرتهم عليه.

[١٩]- هل تفكك الكيان السعودي وزواله ممكن،
وهل ذلك قابل للتحقق في المدى المنظور؟ وكم
سيستغرق الأمر من الوقت؟

• من لا يؤمن بالتغيير فقد كفر بسنة من سنن الله
﴿..وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ..﴾ (آل عمران:
١٤٠). وما نفعه اليوم هو وليد إيماننا بسنن الله تبارك
وتعالى، وبوعده الحق الذي في كتابه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ
عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥). وفي قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الانباء: ١٠٥).

نعم، زوال الكيان السعودي ممكن وقابل للتحقيق،
وربما ذلك قريب جداً بحيث لا يمكن أن يستوعبه
الكثيرون. على أن التغيير قد يكون كارثياً إذا أتى ونحن
غير مستعدين له، وليس بأيدينا مشروع حقيقي نتكئ
عليه.

أما كم يستغرق ذلك بالضبط، فالعلم عند الله. المهم
أن نعمل بالأسباب ونغير ما بأنفسنا ليتغير واقعنا،

﴿..إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ..﴾
(الرعد: ١١).



الحجاز قبل الاحتلال السعودي











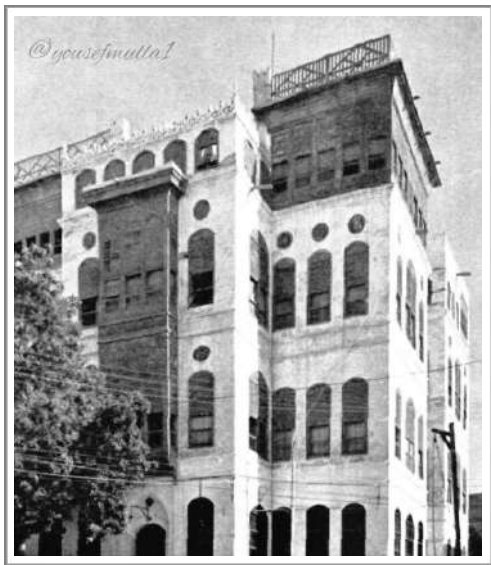














التكية في المدينة



مقبرة البقيع قبل
الاحتلال السعودي



مقبرة البقيع بعد
الاحتلال السعودي





